صـــــور من الريف

تأليف الأستاذ محمد زكي عبد القادر

بقلم الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

لقد استحضرت همة الكاتبين بعد أن أهمى إغفال «الريف»، وما فطر عليه من وداعة تبدو على قسماته، والعمل الفني يجب أن يسمق إلى غاية عالية، يخلوده إلى الحياة الملابسة لوجوده.

وليست الغاية في استبهام البيان على الأفهام، وإنما الإبانة المستدنية التي تداخل العواطف، وتعاطف القلوب، وتناجي الآمال هي التي تكشف جوانب الجمال مع صدق التعبير.

واللفظ الشعري في بنائه ومعناه له إيقاع عجيب إذا اتسق مع سواه، لأن موسيقاه لها صدى يتردد في أعماق النفوس، والمصور الفنان في تصويره المقتدر على تدانى مشاهد الحقائق حتى تتجسد في مرأى الأبصار كأنها تحسها بين الألفاظ.

وخصوصية الكاتب تظهر في لمحة ذهنه، وبراعة إلماعه، وروعة تفرده مع رصانة الأداء، وجاذبية العرض، وسلاسة الوحدة التعبيرية! لهذا أردت تقديم «صور من الريف» في الرسالة الزهراء؛ فقد استبنت فيها ما استبانه الإحساس الإنساني على تفاوت درجاته، وإن عمل الفاص عسير إذا أراد الإلمام بالفطر الإنسانية، والتنويه بتناقض الحياة على اختلاف تخالف الأحياء!

وإن تلك الصور الرائعة قد وضحت فيها ناحية جديدة تغيب عن تقدير متناول الأسلوب القصصي لأنها تدور مع الحوادث ثم تعود إلى التلاق مع «وصف الريف» في كل خطرة منها؛ فالقصص لا تورد لذاتها، وإنما يقصد منها تبيان السذاجة الريفية في عواطفها، ومشاعرها، ومعتقداتها وإيمانها، وقناعتها، واستسلامها، ورضاها بالمقدور.

العربية الحالية عندما كانت في أوج عظمتها في أول الحرب الفلسطينية، ذلك أنه رغم أن هدف العرب جميعاً كان تحطيم الدولة اليهودية المزعومة وتطهير فلسطين من أرجاس الصهيونية إلا أنه حدث نفس الخلاف عندما أمر مجلس الأمن بوقف القتال وتنفيذ هدنة مؤقتة، وبذلك انقسم المجلس إلى جهتين إحداهما ترى رفض الهدنة والأخرى تحبذها، ثم كان أن تنازل الفريق الأول عن مبدئهم إشفاقاً منهم على وحدة العرب في ذلك الوقت الحرج وقبلت الهدنة التي كانت الغلطة الكبرى في حرب فلسطين والتي تسبب عنها هزيمة العرب في تلك المعركة.

هذا فضلاً عما نراه من انصياع بعض الدول العربية إلى السياسة البريطانية انصياعاً تاماً، ولا يشك أحد في أن بريطانيا التي تعمل جاهدة على تحطيم وحدة العرب بشتى الوسائل والأساليب يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء هذا الأمر بالنسبة للدول التي تسيرها على الأقل.

هذه الدول العربية المتخمة بالمآكل والأدواء لا يمكن أن تجتمع في برلين. هذا وإنه لا يمكنني أن أتخيل العراق أو شرق الأردن أو غيرها من الدول العربية تقبل أن تضحي بشبابها وجنودها لتخرج الإنجليز من مصر أو السودان، كما أنني لا أقدر على أن تصور جيشاً مصرياً يستطيع اجتياز الحدود ليذهب إلى تركيا فيحاربها في سبيل مصلحة سوريا التي تنازع تركيا إقليم الإسكندرونة. ومن العبث أخيراً أن تتوهم جيش الجامعة وقد أعلن الحرب على سوريا ولبنان وفيه جنود من أبناء سوريا ولبنان — ليكون بذلك سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب، أليس ذلك المشروع من مصلحة شرق الأردن والعراق والجامعة تعمل لمصلحة الجميع

أرى أن تتجه كل دولة إلى تقوية جيشها وإعداده لتحقيق أهدافها وإدراك استقلالها التام وحريتها الكاملة، وثم تتحقق للدول العربية آمالها وتصبح دولا قوية فتية مستقلة لها كيان محترم غير مزعزع — عندئذ يجوز أن تتجه أنظارنا إلى تنفيذ مشروع كهذا.

السيد علي الشوربجي
كلية الحقوق

يقول المؤلف المقتدر في « السيد » : « هذا الريف صنعه الله ، والله أيضاً هو الذي صنع هؤلاء الريفيين ، والله طهارة ونور وقداسة » .

ثم يسكت الكاتب الرائع تاركا نتيجة هذا « القياس » ... المنطق التعبيري تلمع في خاطر قارئه المأخوذ بروعة بيانه .

ويقول في موضع آخر : « السيد في الريف ذكرى ، وخشوع ، وإيمان مطلق لكنه في المدن قطعة من الفخر والعبث والاستهتار » .

وليس المصور في هذا التعبير متجنياً على المدنية ؛ فالواقع أن جنون المظاهر تلعب ، فالانطلاق على غلواء الأهواء لا يعترف بزمام التؤدة والوقار ! ويدعي المدنيون أن ضيق نطاق القرية يدعو إلى التحفظ وتكلف التجمل لكن الواقع يناقض دعواهم : « فالسيد في الريف نور وجمال له قدسيته وجلاله الذي يستمده من الدين » ، وقد أبدع الوصاف في تلك القولة الموجزة ، لأنه صور بها قوة عاطفة الإيمان لدى القروي الذي يبصر في نهاره وليله دلائل القدرة تتجمع في الآفاق ؛ فتوحي إليه بتقدير القدرة العالية ! وفي قطعة « ورقة النصيب » : « صورة ممتعة حقاً لأنها تجمع إلى قناعة الريف المتواضع الراضي طعم الحياة الإنسانية » .

ويعقد المؤلف بين خيبة المؤمل وحب الأمل فيقول : « لم يربح لكنه سعيد بالأمل ، سعيد في خياله ورجائه ، ولا بد أن يواتيه الرجاء والخيال يوماً » .

* * *

إن في « صور من الريف » نواحي متعددة تصور لك كما قلت حقائق الحياة في نطاق التجربة ، وإنما عمدت إلى « وصف السيد » و « ورقة النصيب » لأنهما يصوران حقيقة النفوس ، ويدلان على تعلقها بما يستحقها أو يدفعها إلى السكينة والدعة .

ولقد تهادت بين أعطاف هذه السور ، أطياف من الحب الريفي القائم على التكتم واعتصار الفؤاد ، من دون الإفصاح عن الانفعال حيث تضغط المشاعر بضغط القسر والإرغام ، ويصور إحساس عذراء القرية حينما تفاتح في الزواج : « سألوني هل تتزوجين ؟ فعقد الحياء لساني ولم أستطع أن أتكلم ، وإنما أجبت بالدموع ، ألموا في السؤال فألححت في البكاء ، ولو كانوا يفهمون أو يريدون أن يفهموا لأدركوا ماذا تعني دموع عذراء » .

إن الأستاذ محمد زكي عبد القادر يحب الاستدلال على ما يصدر بقول غيره توكيداً لرأيه ، ونلمح داعماً حبه الاستشهاد بأقوال الفرنجة ، والأدباء ملهمون يصدرون المعاني الإنسانية المشتركة على تباين الأديان والأقطار ، وقد نقل عبارة عن « واشنجطن أرفنج » في قطعة « على قبور أعزائنا نرمز إلى أن زيارة القبور مدعاة إلى التوبة والندم ، ومع اعترافي بحسن اختياره ورشاقة ترجمته أؤثر الاستدلال بما ورد في لغتنا إيناساً لها ، وتقريباً لموضوع الكتاب الداعي إلى تمجيد البيئة .

هذا ، ولست في إيرادي مؤاخذاً ، وإنما أقصد أن يكون هذا السفر الجليل خالياً من الكلف في وجه البدر .

(بورسعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

وزارة الزراعة

تقبل العطاءات بمكتب مدير إدارة المخازن والمشتريات بالدقي لغاية ظهر يوم ١٩٤٩/٩/٢٢ من عملية إنشاء بيارة المصرف بمزرعة الصبحية بالأسكندرية ويمكن الحصول على القوائم مقابل مبلغ ٢٠٠ مليم للواحدة بدون رسم يضاف إليه مبلغ ٣٠ مليما أجرة البريد . ويمكن الاطلاع على الرسم الخاص بها بقسم الهندسة المدنية بديوان الوزارة وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما .

٢٧٧٠